

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن العدد ٢٠ ملياً

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للدراسات الفكرية والعلمية والفنية

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السئول

أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الرابعة عشرة

« القاهرة في يوم الإثنين ٣ رجب سنة ١٣٦٥ - ٣ يونية سنة ١٩٤٦ »

العدد ٦٧٤

وعينا القومي ينضج

سأل في سوربة وشال في شرفي الأورد

—»»««—

يخطئ من يقيس تقدم أمة أو تأخرها بما يشاهد من حال السابقين منها أو التخلفين عنها ؛ فإن من سبق إنمّا سبق بإيجازه ، ومن تخلف إنمّا تخلف ببعجزه ؛ والإيجاز والعجز من الشذوذ الذي لا يسبب حكماً ولا يبنى قاعدة . إنمّا يصح القياس بحال الكتلة التي ظلت متماتمة في اللون والكثافة والحركة بعد أن انفصلت منها قطعة إلى الأمام ، وانحزرت عنها قطع إلى الوراء ؛ لأن هذه الكتلة تمثل القدر المشترك من الشعور والإدراك والوعي والتلقين والطموح والاندفاع ؛ فرأيها هو الرأي العام ، وأمرها هو الدستور الحاكم ، ووجهها هو السياسة القومية ، وغضبها هو الثورة الوطنية ، ورضاها هو السلام الدائم . والحكم على الأمة العربية - لمن يحلوه أن يحكم - يجب أن يكون ، بناء على هذا القياس أو الأساس ، قائماً على حركات كتلتها العجيبة التي ما فتئت منذ مؤتمر فرساي تتغارب وتتضام وتتأسك وتتحد على الرغم من الأسباب المفككة والعوامل المهلكة التي ابتليت بها من سفه الأحزاب السياسية في الداخل ، وطمع الدول الاستعمارية في الخارج .

كانت هذه الكتلة المعزقة فاقدة الوعي حين أراد محمد علي

إحياء الامبراطورية العربية ؛ وكانت فاقدة الوعي حين نار أحمد عرابي على المناصر الأجنبية ؛ وكانت فاقدة الوعي حين دعا مصطفى كامل إلى الفكرة الوطنية ؛ ولكن وعينا القومي أخذ يقننه حين زلزلت الأرض قبائل الحرب العالمية الأولى ، فثارت الجزيرة وسورية والعراق على استعباد الأتراك ، وعمدت مصر على احتلال الإنجليز ، واستجابات الأمة العربية جماء لدهاء الحرية هنا وهناك ، وسارت وراء قادتها بخطى الواثق الطمئن ، فأضلواها السبيل ، وأوردوها السراب ؛ ولكنها استفادت من كلال السير ووعونة الطريق وسماز الظلم ، بصراً في الوعي ، وقوة في الموازنة ، وصدقاً في التمييز ، وصحة في الحكم ؛ فلم تسكد الحرب العالمية الثانية تعطى حتى كانت أمام زعمائها تلهمهم فيقولون ، وتأمرهم فيفعلون ، وتوجههم فيتجهون . ومتى عرفت الأمة نفسها ، وأحسّت نقصها ، وتبينت قصدها ، أبت على ولادة أمرها أن يدلّسوا عليها الرأي ، ويعوهوا لها الباطل ، ويقننوها بما دون الحق . وفيما يجري الآن في مصر وفي غيرها من الحوادث ، ويدبغ في المجالس والصحف من الأحاديث ، شواهد صادقة على اتساع الوعي القومي في نفوس المصريين والعرب تنب في عين النكر إذا وازن بين ما كانوا عليه وبين ما صاروا إليه . كان الساسة الذين احترقوا الوصاية عليهم يفاوضون في أمورهم ، ويماهدون على مصيرهم ، دون أن يحفلوا لهم برأي ، أو يرجعوا إليهم بخيرة ، وإن زعموا أنهم استشاروهم فأشاروا ، وخيروهم فاختاروا لهم اليوم يفاوضون تلك القباوطة ،

قد سئمواعده المظاهر الكاذبة ، وأنكروا هذه الألفاظ الفارغة ، وكبير عليهم أن يشاطروا أنجلترا السرور بانتلاذ قطعة من الوطن العربي لا يزيد عدد سكانها على خمس سكان القاهرة ، لتجعلها وكرا للاستعمار يقب منه متى شاء علينا أو على من حولنا من الأمم المطمشة الوادعة .

أليس الوعي القومي هو الذي جعل العرب يميزون بين استقلال سورية واستقلال شرق الأردن ؟ أليس الوعي القومي هو الذي جعل لأنجلترا من جامعة الدول العربية ، ما جعل الله لآل فرعون من موسى بن عمران ؟ آووه وتنبؤوه ليكون ظهيرا للكفر ، ونصيراً للظلم ، ووزيراً الاستبداد ، فكان لهم نذيراً من الله ، وداعياً إلى الحق ، وبشيراً بالحرية ؟

أليس الوعي القومي الذي وُلد صاحب الجلالة القاروق في صحوته ، ثم ترعرع وشب وملك في صحوته ، هو الذي ألهمه أن يوطد أساس الجامعة العربية باجتماع الملكين في رضوى ، وأن يوثق الوحدة العربية بمؤتمر اللوك والرؤساء في إنشاص ؟

بلى ، هو الوعي القومي الذي تيقظ واستبصر في نفوس العرب من ملوكها ورؤسائها ، إلى سوتها ودهائها : ولن تجد مصداقاً له ولا دليلاً عليه أبانغ من هذا التفاق الذي يساور كل نفس ، وهذا الامتصاص الذي يرسم على كل وجه ، وهذا الانتقاد الذي يجري على كل لسان . كل امرئ يريد التغيير ، وينشد الكمال ، ويطلب الأحسن . وكل امرئ يحاول أن يفرق بين رجل ورجل ، ويميز بين عمل وعمل ، وبوازن بين مبدأ ومبدأ .

بلى ، هو الوعي القومي الذي يذكّر العرب اليوم أنهم خيرامة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتسارع إلى الخير ، وتعاون على البر ، وتتناصر في الشدة ، وتأيي إلا أن تتبرأ مكانها الأول من قيادة الإنسانية . ذلك الوعي القومي هو ضمان النهضة العربية من الانتكاس والردة ، وأمان السياسة العربية من الغش والخديعة ، ووقاء الوحدة العربية من الشتات والفرقة . فن حاول بمد اليوم أن يقود الأمة العربية قيادة القطيع ليذبح ، أو يسوسها سياسة الخليل ليركب ، نبت في يديه كما يقب المارد في يد الرجل إذا انطلق من حبسه ، وامتنعت عليه كما يمتنع الثور على الطفل متى شمر بنفسه .

صميم الزيات

ويراجعون تلك المعاهدة ، ولكن الأمة هي التي وضعت المبادئ ، وحددت المطالب ، وأملت الخطط ، وقدرت المواقف ؛ فليس لمفاوض أن يقوّلها ما لم تقبل ، ولا لحاكم أن يريدها على ما لم ترد ! وهل نسبت يوم الجلاء في سورية ؟ وكيف تنسأه أذن الحى ولا تزال أناشيد وزغاريد تدوى في سمع الزمان ؟ ! جلت جنود الاستعمار عن أرض سورية العزيزة ، فاهتر العالم العربي اهتزاز الغبطة ، واعتبر اهتزاز النصر ؛ وشعر كل فرد من أفرادها ، في مختلف بلاده ، أن فريقتا من أهله تبحر من القيد ، وأن جزءاً من وطنه تطهر من المغير ؛ وأقبلت وفود الدول العربية تشارك دمشق في الاحتفال بإقامة العرش الأموي بعد أن خرت قوائمه وابتذل حماه ؛ وقال المراق لمصر : ذلك يا أختاه هو الجلاء الذي يكشف الضر ، والاستقلال الذي يرضى الحر ، فتى يكون لنا ولسائر أقطار العروبة مصير كهذا المصير ويوم كهذا اليوم ؟ !

ذلك مثال من أمثلة الوعي القومي العربي تجل في هذا الحادث الخطير صريحاً غير مشوب ، وصحيحاً غير مزيف ، فإذا وازنت بين موقف العرب من استقلال سورية ، وموقفهم من استقلال شرق الأردن ، فلن يحاصر بك بعد ذلك شك في أن الأمة العربية السكرمة إنما تصدر عن وعى بصير ، وتنقل عن شعور صادق .

فاوضت أنجلترا شرق الأردن مفاوضة الذئد للذئد ، ثم منحتة الاستقلال التام ، وعقدت بينها وبينه معاهدة الشرف والافتخار ، ثم رفعت من الإمارة إلى الملكة ، واحتفل إخواننا الأردنيون بمبايعة أميرهم العظيم عبد الله بن الحسين ملكاً عليهم ، فزاد ملوك العرب ملكاً ، وزادت ممالك العروبة مملكة . وكان هذا النبأ العظيم عن هذا النصر الأعظم جديراً بأن يزلزل النفوس من الفرح ، ويبسح الحناجر من المتعجب ، ويدى الألف من التصفيق ، ويمجد جيوش العرب في ميادين عمان ، ويدعو شعراء العرب إلى منابر عمان ، ولكن هذا النبأ العظيم سرى به البرق ، وتموج به الأمير ، وكأنما ضرب الله على الآذان فلم تسمعه ، وختم على القلوب فلم تفتتح له ! واحتفلت عمان وحدها بيومها التاريخي المجيد احتفالاً رسمياً لا روعة له ولا بهجة فيه . ذلك لأن العرب الذين لا ينفكون يسخرون من احتفال^(١) مصر ، ويهزأون باستقلال المراق ،

(١) كلمة تحتها الأستاذ وحيد الأيوبي من كلمته: احتلال واستقلال .